

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة الذاريات ١٢-١٠-٢-١٤٠٢-٢٩

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١)

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢)

سورة الذاريات

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)

فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا (٤)

سورة الذاريات

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥)

وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)

سورة الذاريات

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ (٧)

سورة الذاريات

إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨)

سورة الذاريات

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠)

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١)

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ (١٢)

سورة الذاريات

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣)

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)

سورة الذاريات

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ
عُيُونٍ (١٥)

وَآخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)

سورة الذاريات

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ
يَهْتَدُونَ (١٧)

وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)

سورة الذاريات

وَ فِي أَمْوَإِلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَ
الْمَخْرُومِ (٩)

سورة الذاريات

وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠)

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ (٢١)

سورة الذاريات

وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا
تُوعَدُونَ (٢٢)

سورة الذاريات

فَفَرَّ رَّبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
لَخَفِ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ
الْمُكْرَمِينَ (٢٤)

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)

فَفَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)

قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ
بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)

فَأَقْبَلَتِ أَمْرًا أَنَّهُ فِي سِرِّهِ فَصَكَتُ
وَجْهَهَا وَ قَالَتُ عَجُوزٌ عَفِيمٌ (٢٩)

قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)

* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
الْمُرْسَلُونَ (٣١)

قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ (٣٢)

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّنْ
طِينٍ (٣٣)

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤)

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥)

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)

وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ (٣٧)

سورة الذاريات

وَ فِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ (٣٨)

فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَ قَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)

فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ (٤٠)

سورة الذاريات

وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَاقِبِمْ (٤١)

مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا
جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)

سورة الذاريات

وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣)

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الصَّاعِقَةَ وَ هُمْ
يَنْظُرُونَ (٤٤)

فَمَا اسْتَبْطَأُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا
مُنْتَصِرِينَ (٤٥)

سورة الذاريات

وَ قَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ (٢٦)

سورة الذاريات

وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)

وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ (٤٨)

وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)

سورة الذاريات

فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ (٥٠)

سورة الذاريات

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ
إِنِّي لَأَكْمَرُ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)

سورة الذاريات

كَذَٰلِكَ مَا أَتَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاجِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ (٥٢)

سورة الذاريات

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ (٥٣)

فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤)

سورة الذاريات

وَ تَذَكَّرُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)

وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

- (و ذكر) بالموعظة (فإن الذكرى تنفع المؤمنين)
الذين يتعظون بمواعظ الله و يستدلون بآياته.

وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

• قوله تعالى: «وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»
تفريع على الأمر بالتولى عنهم فهو أمر بالتذكير بعد
النهي عن الجدل معهم، و المعنى: و استمر على
التذكير و العظة فذكر كما كنت تذكر فَإِنَّ الذِّكْرَى
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ بخلاف الاحتجاج و الجدل مع
أولئك الطاغين فإنه لا ينفعهم شيئاً و لا يزيدهم
إلا طغيانا و كفرا.

سورة الذاريات

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ (٥٦)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- هذا اخبار من الله تعالى أنه لم يخلق الجن و الأنس إلا لعبادته، فإذا عبده استحقوا الثواب، و اللام لام الغرض و لا يجوز أن يكون لام العاقبة لحصول العلم بأن كثيراً من الخلق لا يعبدون الله.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- و في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين: بأن الله خلق كثيراً من خلقه للكفر به و الضلال عن دينه و خلقهم ليعاقبهم بالنيران، لأنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى تناقض، و لا إختلاف

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- و قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) «١» قد بينا في ما مضى أن اللام لام العاقبة. و المعنى إنه خلق الخلق كلهم لعبادته و تصير عاقبة كثير منهم إلى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر بالله و ارتكاب معاصيه.
- (١) سورة ٧ الاعراف آية ١٧٨

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- فان قيل: أليس قد خلق الله كثيراً من خلقه لطفاً لغيرهم، فكيف يكون خلقهم لعبادته؟!.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- قلنا: ما خلقه الله تعالى على ضربين: مكلف، و غير مكلف، فما ليس بمكلف خلقه للطف المكلفين، جماداً كان او حيواناً. و ما هو مكلف خلقه لعبادته و إن كان في خلقه أيضاً لطف للغير، و كأنه يكون خلقه للأميرين و يكون بمنزلة ما خلقته إلا ليعبد مع عبادة غيره لأن عبادة غيره مما هو غرض في خلقه، و لولا ذلك لم يكن في خلق النبي عليه لطف لغيره،

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- فالتقدير ما خلقتة إلا لعبادته مع عبادة غيره به، و هو بمنزلة قول القائل ما أدبت ولدى إلا ليصلح جميعهم أى بتأديبي له مع تأديب غيره الذى يدعوه إلى خلافه، و ليس المعنى ما خلقت كل مكلف إلا ليعبد هو فقط.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- و في الآية دلالة على انه تعالى لا يريد المباح، لأنه ليس من العبادة.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»
فيه التفات من سياق التكلم بالغير إلى التكلم وحده لأن
الأفعال المذكورة سابقا المنسوبة إليه تعالى كالخلق و
إرسال الرسل و إنزال العذاب كل ذلك مما يقبل
توسيط الوسائط كالملائكة و سائر الأسباب بخلاف
الغرض من الخلق و الإيجاد فإنه أمر يختص بالله
سبحانه لا يشاركه فيه أحد.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- و قوله: «إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» استثناء من النفسى لا ريب فى ظهوره فى أَنَّ للخلق غرضاً و أَنَّ الغرض العبادۃ بمعنى كونهم عابدين لله لا كونه معبودا فقد قال: ليعبدون و لم يقل: لأعبد أو لأكون معبودا لهم.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- على أن الغرض كيفما كان أمر يستكمل به صاحب الغرض و يرتفع به حاجته و الله سبحانه لا نقص فيه و لا حاجة له حتى يستكمل به و يرتفع به حاجته،

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

• و من جهة أخرى الفعل الذى لا ينتهى إلى غرض لفاعله لغو سفهى و يستنتج منه أن له سبحانه فى فعله غرضا هو ذاته لا غرض خارج منه، و أن لفعله غرضا يعود إلى نفس الفعل «١» و هو كمال للفعل لا لفاعله،

• (١) فالله تعالى خلق الإنسان ليشبهه و الثواب عائد إلى الإنسان و هو المنتفع و هو المنتفع به و الله غنى عنه، و أما غرضه تعالى فهو ذاته المتعالية و إنما خلقه لأنه الله عز اسمه. منه.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- فالعبادة غرض لخلق الإنسان وكمال عائد إليه هي و ما يتبعها من الآثار كالرحمة و المغفرة و غير ذلك، و لو كان للعبادة غرض كالمعرفة الحاصلة بها و الخلوص لله كان هو الغرض الأقصى و العبادة غرضا متوسطا.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

• فَإِن قُلْتَ: مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ حَمَلِ اللَّامِ فِي «لِيَعْبُدُونِ» عَلَى الْغَرَضِ يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَ لَذَلِكَ خَلَقَهُمْ»: هُود: ١١٩، وَ قَوْلُهُ: «وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»: الْأَعْرَاف: ١٧٩، فَإِن ظَاهِرَ الْآيَةِ الْأُولَى كَوْنَ الْغَرَضِ مِنَ الْخَلْقِ الْاِخْتِلَافِ، وَ ظَاهِرَ الثَّانِيَةِ كَوْنَ الْغَرَضِ مِنْ خَلْقِ كَثِيرٍ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ دُخُولِ جَهَنَّمَ فَلَا مَحِيصَ عَنْ رَفْعِ الْيَدِ مِنْ حَمَلِ اللَّامِ عَلَى الْغَرَضِ وَ حَمَلِهَا عَلَى الْغَايَةِ.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

• قلت: أما الآية الأولى فالإشارة فيها إلى الرحمة دون الاختلاف، وأما الآية الثانية فاللام فيها للغرض لكنه غرض تبعي و بالقصد الثانى لا غرض أصلى و بالقصد الأول و قد تقدم إشباع الكلام فى تفسير الآيتين.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

• فَإِنْ قُلْتَ: لَوْ كَانَ اللَّامُ فِي «لِيَعْبُدُونِ» لِلْغَرَضِ كَانَتْ الْعِبَادَةُ غَرَضَهُ تَعَالَى الْمُرَادِ مِنَ الْخَلْقِ، وَ مِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَتَخَلَفَ مُرَادُهُ تَعَالَى عَنْ إِرَادَتِهِ لَكِنْ مِنَ الْمَعْلُومِ الْمَشَاهِدِ عَيَانًا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَا يَعْبُدُونَهُ تَعَالَى وَ هَذَا نَعْمَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّامَ فِي الْآيَةِ لَيْسَتْ لِلْغَرَضِ أَوْ أَنَّهَا لِلْغَرَضِ لَكِنْ الْمُرَادُ بِالْعِبَادَةِ الْعِبَادَةُ التَّكْوِينِيَّةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»: إِسْرَاءُ: ٤٤.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- أو أن المراد بخلقهم للعبادة خلقهم على وجه صالح لأن يعبدوا الله بجعلهم ذوى اختيار و عقل و استطاعة، و تنزيل الصلاحية و الاستعداد منزلة الفعلية مجاز شائع كما يقال: خلق البقر للحرث، و الدار للسكنى.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- قلت: الإشكال مبنى على كون اللام في الجن و الإنس للاستغراق فيكون تخلف الغرض في بعض الأفراد منافيا له و تخلفا من الغرض، و الظاهر أن اللام فيهما للجنس دون الاستغراق فوجود العبادة في النوع في الجملة تحقق للغرض لا يضره تخلفه في بعض الأفراد نعم لو ارتفعت العبادة عن جميع الأفراد كان ذلك بطلانا للغرض، و لله سبحانه في النوع غرض كما أن له في الفرد غرضا.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

• و أما حمل العبادة على العبادة التكوينية فيضعفه أنها شأن عامة المخلوقات لا موجب لتخصيصه بالجن و الإنس مضافا إلى أن السياق سياق توبيخ الكفار على ترك عبادة الله التشريعية و تهديدهم على إنكار البعث و الحساب و الجزاء و ذلك متعلق بالعبادة التشريعية دون التكوينية.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- و أما حمل العبادة على الصلوح و الاستعداد بأن يكون الغرض من خلق الجن و الإنس كونهما بحيث يصلحان للعبادة و يستعدان لها أو لتعلق الأمر و النهى العباديين

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- فيضعفه أن من البين أن الصلوح و الاستعداد إنما يتعلق به الطلب لأجل الفعلية التي يتعلق به الصلوح و الاستعداد فلو كان الغرض المطلوب من خلقهما كونهما بحيث يصلحان للعبادة أو لتعلق الأمر و النهى العباديين فقد تعلق الغرض أولاً بفعلية عبادتهما ثم بالصلوح و الاستعداد لمكان المقدمة.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- ففي حمل العبادة على الصلوح و الاستعداد اعتراف بكون الغرض من الخلق أولاً و بالذات نفس العبادة ثم الصلوح و الاستعداد فيعود الإشكال لو كان هناك إشكال.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- فالحق أن اللام في «الْجِنَّ وَالْإِنْسَ» للجنس دون الاستغراق، والمراد بالعبادة نفسها دون الصلوح والاستعداد،

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- و لو كان المراد هو الصلوح و الاستعداد للعبادة لكان ذلك غرضا أدنى مطلوباً لأجل غرض أعلى هو العبادة كما أن نفس العبادة بمعنى ما يأتي به العبد من الأعمال بالجوارح من قيام و ركوع و سجود و نحوها غرض مطلوب لأجل غرض آخر هو المشول بين يدي رب العالمين بذلة العبودية و فقر المملوكية المحضة قبال العزة المطلقة و الغني المحض كما ربما استفيد من قوله تعالى: «قُلْ مَا يَعْבוُّا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ»: الفرقان: ٧٧، حيث بدل العبادة دعاءً.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

- فحقيقة العبادة نصب العبد نفسه في مقام الذلة و العبودية و توجيه وجهه إلى مقام ربه، و هذا هو مراد من فسر العبادة بالمعرفة يعنى المعرفة الحاصلة بالعبادة.
- فحقيقة العبادة هى الغرض الأقصى من الخلق و هى أن ينقطع العبد عن نفسه و عن كل شىء و يذكر ربه.